أهل الشام

ريبورتاج

مخيّمات السوريّين في لبنان:
القاصرات «ضحايا الزواج» أيضاً

علاوة على كل ما تتركه الحرب من جرائم ظاهرة، ثمة جرائم «مستترة» تشهد ازدهاراً في صفوف السوريين، ومن بينها واحدة اشتهرت باسم «زواج القاصرات». يتناسب تزايد انتشار هذه «الظاهرة» طرداً، مع تردي الظروف الاقتصادية، وانغلاق آفاق التغيير، وتشكل «مخيمات السوريين» داخل لبنان «بيئة مثالية» على هذا الصعيد

«من يصدق ان احمل بين يدي طفلة بعد ان كنت احمل دمية قبل سنوات؟» (أ ف ب)

محمد الواوي

قبل سنوات، لم يكن الزواج وارداً في بال الطفلة رهام المنحدرة من إحدى قرى ريف إدلب، ولا حتى حاضراً في خيارات عائلتها. كان حصول الأمر مستبعداً قبل بلوغها العشرين على الأقل، لكن الظرف سرعان ما تغير كلياً بعد أن قذفتها الحرب بعيداً عن الطفولة، لتتكسر أحلام دراستها في عام 2013 على عتبة الصف التاسع (البروفيه)، ولا سيما أن التقدم إلى الامتحانات كان يعني حتمية السفر من الريف إلى مركز المحافظة، في ظل اشتداد المعارك، وانتشار مظاهر الخطف على الطرقات. أمام تردي الوضع الأمني، واقتراب النيران من بيتها، وجدت الصغيرة نفسها تقطع رحلة طويلة بصحبة عائلتها، انتهت في أحد مخيمات «البقاع» في لبنان. لم يمض وقت طويل، حتى تزوجت رهام وهي ابنة 15 ربيعاً فحسب، وبمهر مقدمه مليونا ليرة لبنانية (نحو 1300 دولار)، ومؤخره ثلاثة ملايين (2000 دولار). تقصّ الصبية لـ«الأخبار» فصولاً من حكايتها: «الفقر دفعني نحو الزواج. لم أعد أحتمل العمل بالسخرة في الأراضي الزراعية، من السادسة صباحاً حتى السادسة مساءً. كذلك إن ضغوط الأهل لا ترحم، وباب إكمال العلم مغلق في بلاد ليست بلادنا». لا تُعدّ رهام استثناءً، بل إن الزواج المبكر بات أشبه بقاعدة في محيطها. تؤكد الصبيّة أن ما لا يقلّ عن 50 فتاة قاصراً تعرفهن في مخيمها الصغير، قد تزوجن قبل سن السابعة عشرة، في خلال الأعوام الثلاثة الماضية. اليوم، باتت الطفلة رهام، أمّاً للرضيعة ليلاس ذات الأشهر الأربعة. تقول: «من يصدق أن أحمل بين يديّ طفلة بعد أن كنت أحمل دمية قبل سنوات؟ إنها أعباء ومشقة كبيرة، ليت الزمان يعود بي إلى طفولتي لأفعل كل الأشياء التي حُرمتُها».

«أريد الانتحار»

كانت نور، (14 عاماً) ضحية أخرى لجريمة مماثلة. في عام 2016، التقاها ناشطون اجتماعيون مصادفة في أحد مراكز الدعم التابعة لمنظمة دولية في البقاع. كانت الطفلة تقف على حافة أحد شبابيك الطبقة الثالثة من المبنى. طلب منها الناشطون ألّا تقف هناك خوفاً عليها، وسرعان ما أجابت: «دعوني أسقط وأموت، لماذا أعيش وابني بعيد عني؟». تكشفت فصول القصة أمام الناشطين، كانت الطفلة جزءاً من صفقة «زواج بالمقايضة». إذ تزوجت شاباً، مقابل أن يتزوج أخوها أخت الشاب (وهي قاصر أيضاً). بعد فترة وجيزة من الزواج، طلق أخوها زوجته نتيجة خلافات، فردّ زوجها بتطليقها، وحرمها طفلها، حين اختطفه عنوة لأن «الطفل من حق الأب» وفقاً للأعراف السائدة في محيطه الاجتماعي. يرى أحمد (متطوع في منظمة UNHCR، ويعمل في مخيمات شمال لبنان)، أن «تراجع التعليم أسهم في استفحال الظاهرة في الشمال». يقول: «الأب، ولا سيما العاطل من العمل، لن يرسل بناته إلى المدارس نتيجة ارتفاع التكاليف، وغياب وسائط النقل، خاصة بعد أن خفضت المنظمات الدولية مساعداتها للاجئين». ويضيف: «يؤكد البعض أنهم يمتنعون عن إرسال بناتهم إلى المدارس خوفاً من التحرش، خاصة أن دوام السوريين في المدارس الابتدائية والإعدادية يكون ضمن الفترة المسائية». يوضح الناشط أن «كثيراً من اللاجئين يسكنون في مخيمات مجاورة للأراضي الزراعية التي يعملون فيها، بعيداً عن مراكز تجمّع المدارس. ولهذا تتجه الفتيات إلى العمل في الزراعة، بانتظار العرسان». وضمن سياق حرمان المتعلّم، يذكر الشاب حادثة لافتة وقعت في «مخيم المنية» (طرابلس) في شباط الماضي. يقول: «أقدمت فتاة عمرها 14 عاماً على الانتحار شنقاً، بعد حرمانها التعلّم ودورات المهارات الاجتماعية التي تقدمها المنظمات الإنسانية».

> يحصل معظم حالات «زواج القاصرات» وفق «عقود عرفية»

أرقام صاعدة

لا يُعَدّ «زواج القاصرات» حدثاً جديداً على الساحة السورية، لكن لعنة الحرب ضاعفت النسبة إلى أن تجاوزت 13% بعد أن كانت 3%، بحسب تصريح للقاضي الشرعي الأول في دمشق محمود المغراوي، في بداية العام الحالي. وتجري معظم تلك الحالات وفق «عقود عرفيّة». لا يمكن الركون إلى دقة النسب المذكورة، فهي أقرب إلى تقديرات، وقد تكون أقل بكثير مما ستكشفه الأيام بعد أن تضع الحرب أوزارها. فيما تبدو النسب أكثر تضخماً في مخيمات السوريين داخل الأراضي اللبنانية. عملت الناشطة الاجتماعية رودة عبد الكافي، مع منظمات دولية، في مخيمات البقاع بدءاً من 2016. تقول لـ«الأخبار» إن «أسباب ازدياد زواج القاصرات السوريات في المخيمات اللبنانية، كما لمسناها على أرض الواقع، كثيرة. منها الخوف على الفتاة من أي تحرش، وهو مفهوم خاطئ عند أغلب الأهالي». وتضيف: «أيضاً تؤدي الظروف الاقتصادية دوراً مهماً، إذ يعتقد الأهل أن زواج ابنتهم يعني حصولها على مسكن أفضل من الخيمة. وفي حالات موت الأب أو غيابه عن الأسرة، تجد الأم نفسها مجبرة على تزويج بناتها لتخفيف الأعباء عن كاهلها». تعدد عبد الكافي بعض منعكسات زواج القاصرات، التي عاينتها على الأرض. «النزف في ليلة الدخلة، والحمل المبكر، والطلاق بعد أشهر أو حتى أسابيع. بالإضافة إلى تعرض الفتاة للخطر أثناء الولادة، توفيت قاصر منذ مدة قصيرة أثناء وضع مولودها». وتضيف: «شهدت على زواج للقاصر ذاتها لأكثر من مرة، قبل أن تُتمّ عامها الثامن عشر!» تؤكد رشا مرشاد، مسؤولة الحملات والتواصل في «التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني» لـ«الأخبار» تفشي الظاهرة بنحو كبير. تقول: «قدرت منظمة UNICEF نسبة زواج القاصرات السوريات في المخيمات اللبنانية بـ 27% خلال عامي 2017-2018، فيما تشير أرقام هذا العام إلى نسبة 41%». وتضيف: «ما نعمل على فعله، هو إيجاد إطار قانوني يحدد الزواج في لبنان بـ 18 سنة، على أن ينطبق القانون على كل الأشخاص المقيمين داخل الأراضي اللبنانية، بمن فيهم السوريات. إضافة إلى أهمية التوعية للنساء والفتيات في المخيمات، لمحاولة حثهن على محاربة الظاهرة وتفاديها».

تصميم: سنان عيسى

أوراق اقتصادية

الفريق الاقتصادي و«السورية للتجارة»: مصالح التجار في أيدٍ أمينة!

نسرين زريق

يقول الخبر، إنّ خسائر «السورية للتجارة» قد تجاوزت 40 مليار ليرة سورية (حوالى 93 مليون دولار وفقاً لسعر الصرف الرسمي!). المؤسسة المذكورة، كانت وليدة دمج «المؤسسة العامة الاستهلاكية» و«المؤسسة العامة للخزن والتسويق» و«المؤسسة العامة لتوزيع المنتجات النسيجية»، بموجب المرسوم الرقم 6 لعام 2017. طغت على طريقة عمل «السورية للتجارة» عقلية التاجر، وقال مديرها بعد عام من إنشائها إنها «تاجر كبير في السوق». لكن لغة الأرقام تجعل ذلك التوصيف يبدو أشبه بنكتة، وتستوجب على الأقل إلحاق صفات مناسبة بذلك «التاجر الكبير»، من قبيل «خاسر»، أو «فاشل». المفارقة، أن تلك الخسائر الكبيرة جاءت في ظل ابتعاد كامل عن الفكرة العريضة التي أُنشئت المؤسسات الاستهلاكية على أكتافها، وهي تأمين السلع للمواطنين بأسعار أقل من أسعار السوق، وبجودة منافسة. إضافة إلى دعم الفلاحين وأصحاب الصناعات السورية، عبر شراء منتجاتهم وبيعها للمواطنين. (لا أحد يمكنه أن ينسى البطاطا المستوردة من مصر، لتباع للسوريين بسعر 330 ليرة للكيلو غرام الواحد، فيما كان فلاحونا يجهدون لبيع محصولهم بنصف هذا السعر!). صفقة لحوم فاسدة هنا، وخسائر بالمليارات هناك، ومواد منتهية الصلاحية بملايين الليرات، كانت عناوين فارقة في مسيرة «السوريّة للتجارة»، واستحقت بفضلها دعماً بقيمة 4 مليارات ليرة من «صندوق إعادة الإعمار»!!! صحيح أن الدعم ترافق بتوجيه «توبيخ» حكومي، لكن التوبيخ بدا أشبه بتبرير لصرف المبلغ! المفارقة القاتلة، أنّ حجم الخسارة التي حققها للسوريين ذلك «التاجر الكبير» يوازي ما يقارب 10 في المئة من إجمالي كتلة رواتب موظفي القطاع العام لمدة عام كامل! ومع ذلك تقرر حكومتنا دعم الخسارة بمزيد من المال! ما زلنا غارقين في أخطر «ثقب أسود» في تاريخ سوريا الاقتصادي، وهو «دعم الاستيراد»، بل ومحاربة التصدير أيضاً. يأتي ذلك، برغم أن أي شخص قرأ كتاباً واحداً في الاقتصاد يعلم أن التصدير يجلب العملة الصعبة للبلاد، وأن الاستيراد هو استنزاف لما تبقى من العملة الصعبة. علينا أن نستوعب كثيراً من المفارقات العصيّة على الفهم في هذا الملف، مثل أن المؤسسة التي وُجدت لـ«دعم لقمة المواطن» تبيعه سلعاً رديئة بأسعار مماثلة للسوق، ثم يأتي من يقول إن التجار يرفعون الأسعار بلا وجه حق! هل يؤمن «الفريق الاقتصادي» بأن دعم المواطن يقتصر على دعم أرغفة الخبز (كثيراً ما تكون رديئة)؟ لقد كان أحد أهم أسباب خسائر «السورية للتجارة»، تحوّلها إلى نافذة لتصريف السلع المنتهية الصلاحية، أو ذات الصلاحية القصيرة الأجل. (ما سر هذا العشق لمصالح الاستيراد والمستوردين؟). بعبارة أخرى، تحولت المؤسسة إلى سلسلة متاجر تبيع مُستوردات التجار المنتهية الصلاحية! فهل أصبحت مهمة «الفريق الاقتصادي» تسويق أعمال التجار؟ فلنبارك لأنفسنا إذاً!

لقطة

«أبناء الشمس» في اللاذقية «يحرّرون أنفسهم»

رهاف زوان

هل يبكي طفل عندما تُهيّأ له كل أسباب اللعب والتسلية؟! في الغالب الأعم سيكون الجواب: لا. لكنّ عينَي أحمد (اسم مستعار) تجيبان بنعم، وهما تشاهدان ما حُرِمَه الطفل من تعليم وتسلية. يمسح أحمد دموعه بيد، لتمسك بيده الأخرى يد متطوع في فريق «سيّار» المعني بالأطفال المشرّدين في الشوارع وفاقدي الرعاية الأسرية، وينضم إلى حيث تشرق الابتسامات وتتعالى أصوات الفرح. هكذا؛ شهدت مدينتا اللاذقية وجبلة قبل أيام، اجتماع أكثر من 65 طفلاً متسوّلاً، ليس لطلب المال، أو التدخين، أو التسول تحت ستار بيع سلعة ما. لقد اجتمعوا هذه المرة في نشاط ترفيهي هادف، يتخلله دعم نفسي مركّز، مع متطوعي فريق «سيّار» اللاذقية. يسعى الفريق في عمله إلى بناء الثقة مع أولئك الأطفال، تمهيداً لزيادة نسبة قبولهم في حضور النشاطات والالتزام بها. المتطوعة في الفريق، شهد حمال، تقول لـ«الأخبار» إنه «منذ بدء انطلاقتنا أواخر عام 2014، كنا نعمد إلى البحث عن الأطفال في الشوارع العامة، والحديث معهم وإرشادهم، ثم إعلامهم بمواعيد النشاطات الأسبوعية، وإقناعهم بحضورها في مناطق تجمع معروفة». النشاطات المتتالية، وآلية عمل الفريق، كرّسَت لدى الأطفال شعوراً بالطمأنينة والفرح. كما بنَت جسور صداقة مع المتطوعين، تنتقل عبرها إيماءات وجوه الأطفال من الاكتئاب إلى السعادة، الأمر الذي ساهم بشكل كبير في تسهيل جمع الأطفال، وتذكيرهم بمواعيد النشاطات قبل تنفيذها لضمان حضورهم، ومتابعة أحوالهم في كل فرصة ممكنة. تأسس فريق «سيّار» في دمشق قبل سنوات، وينشط اليوم في محافظات عدة. يعتمد خلال عمله مع الأطفال المهمشين، على محاور تتضمن برامج تعليمية وتوعوية، وبرامج علاج بالفن والتنشيط. لا يذكر «سيّار» أسماء الأطفال الذين يعمل لأجلهم، لا في وسائل الإعلام، ولا عبر صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي. يكتفي بتسمية جامعة لهم، عبر إطلاقه يوماً عالمياً (1 تموز) تحت عنوان «أبناء الشمس»، يحتفي به في احتفالية تُعطى اسماً جديداً في كل عام. كذلك، يتحاشى الفريق نشر صور شخصية للأطفال، إيماناً منه بعمله الذي «سيعيد تأهيل المتسوّلين»، كي لا يتعرض الطفل لمضايقات واضطرابات نفسية تعيق عملية إعادة اندماجه مع المجتمع. ومع انتشار حالات الإدمان على استنشاق مادة «الشعلة» المخدرة، بشكل كبير لدى الأطفال، أطلق الفريق على «اليوم العالمي لأبناء الشمس» هذا العام، اسم «حرّر نفسك». تقول المتطوعة شهد "العديد من الأطفال عزفوا عن تلك الممارسات السيئة، بعد العروض المسرحية التي تركز مضمونها على تسليط الضوء على أخطار تلك المواد على صحة الأطفال". وتضيف «هناك حالات يلزمها وقت طويل للتجاوب مع النشاطات. يختلف ذلك بحسب درجة الأذى النفسي الذي تعرّض له كل طفل».

تتعدد بواعث مأساة «أبناء الشمس» وأسبابها، لكن «مهما كان السبب، هناك نواقيس خطر تدق حول مستقبل أطفال، سيكونون بطبيعة الحال جزءاً من الأعمدة الفتية للمجتمع بعد سنوات. هل يحتاج المجتمع السوري، بعد كل ما تعرض له، إلى أفراد مدمنين يمتهنون التسوّل؟»، تتساءل المتطوعة، وتجيب «علينا جميعاً أن نعمل من أجل هؤلاء الأطفال».